

قراءة دلالية بمنطق تحليل الخطاب للفظه الوزير في سورة الانشراح

الاستاذ الدكتور

جنان منصور الجبوري

المدرس المساعد

رياب موسى نعمة الصافي

جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الانسانية

**An indicative reading of the rationale for discourse
analysis of the word minister in Surat al-Inshirah**

Prof. Dr

Jinan Mansour al-Jubouri

Assistant teacher

Rabab Musa Nima Al-Safi

Karbala University - College of Education for Humanities

Abstract:

The Surat Al-Anshraa is revealed by the reason of the Prophet's great self-indulgence and his proclamation that his vocation will bear fruit, and that he will have patience and endurance. The premise of the whole Sura is based on the logic of the Prophet's preaching and calming him and his promise of victory, but it included some words on which the skeptics relied on the infallibility of the noble Prophet in reinforcing their opinion. And if the semantics of words in the context of speech sometimes express the significance of associative commitment to understand them in harmony, so These serial indications can be based on accusing the noble Prophet of guilt and that God has paid him for his burden, which he carried out because of the sins of his predecessor. The task of research here is to refute those allegations based on the language of the text itself and its implications.

Key words: Surat Al-Inshirah, Al-Khattab, Quranic Use, Al-Wazar

المُلخَص :

إنّ سورة الانشراح نزلت بداعي تسكين نفس الرسول الأعظم وتبشيريه بأنّ دعوته سوف تؤتي ثمارها، وأنّ عليه الصبر والتحمل ؛ لأنّ مآل الأمور بالمحصلة النهائية الى الخير، فمنطلق السورة كلها مبني على منطق تبشير الرسول وتهدئته ووعدته بالظفر ، بيد أنّها اشتملت على بعض الألفاظ التي استند اليها المشككون في عصمة النبي الأكرم في تعضيد رأيهم ، وإذا كانت دلالات الألفاظ في سياق الخطاب التكلمي تعبّر احيانا عن دلالة ارتباطية التزامية تفهم منها بالتضام ، فإن هذه الدلالات الاستيعابية يمكن أن يؤسس عليها اتهام الرسول الأكرم بأنّه مذنب وأنّ الله تعالى قد دفع عنه وزره الذي حمّله من جراء ما اقترف من ذنوب سالفه ، ومهمة البحث في هذا المقام هي تفنيد تلك الادعاءات بالاستناد إلى لغة النص نفسه ، وما يحتمله من دلالات .

الكلمات المفتاحية : سورة الانشراح ،

الخطاب ، الاستعمال القراني ، الوزر

المقدمة

الحمد لله الذي قيض قلوب عباده لاستقبال فيض هداه ، وألقى على بصائرهم من أنوار بيانه ما جلى لهم حقائق تنزيله ، وأفاض على عقولهم كلامه ، فأشرقت لطائفه وغرائبه ، وأودع في أسفارهم من إعجاز الفهم ما يشهد بإعجاز النظم ، والصلاة والسلام على خير من بعثهم إلى عباده أبي القاسم محمد وعلى آله الغر الميامين ، أما بعد:

فلعله من دلائل الإعجاز أن يفيض القرآن من ندى فصاحته على الدراسات التي تتناول نظمه ما يجعلها أكثر ثراءً وخصوصيةً ، ويشيع فيها من نور بيانه ما تبدو به أكثر تألقاً ، وأهدى سبيلاً ، ينحى هذا المسعى العلمي لاتخاذ النزعة التحليلية للخطاب وسيلة لاستظهار المكامن الدلالية المضمنة في دلالة لفظه الوزر وذلك تحديداً في سورة الانشراح ؛ إذ تنطلق الباحثة من توظيف مقررات الفكر النحوي واسس الابداع البلاغي ونتائج البيان التفسيري ومعطيات المعنى المعجمي وكل ما يسهم في تحقيق بيان دلالة لفظه الوزر من قرينة سياقية او لمحة عقلية تستند الى منطق لغوي ثابت من اجل قراءة دلالة تلك اللفظة في سورة الانشراح قراءة تفصيلية واعية، عل ذلك يمكنها من الوقوف على الدلالة الاعجازية لها ليتسنى الإجابة على كثير من التساؤلات والتأملات تجاه هذه اللفظة .

دلالة لفظه (الوزر) في اللغة والاستعمال القرآني :

لقد وردت لفظه (الوزر) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة ، منها قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَنَزَّ أُخْرَى﴾^(١) ، والمشار اليه بالوزر في القرآن الكريم ، حال صاحب الذنب ، وما يتحمله من عبء وثقل يرهقه ويؤذيه^(٢) .

أما المعنى المعجمي لهذه اللفظة فهو الدلالة على : ((الحمل الثقيل من الإثم وقد وزر يزر وهو وازر))^(٣) ، وجاء في لسان العرب معنى (الوزر) : ((الوزر الحمل الثقيل والوزر الذنب لثقله))^(٤) ، وقال ابن فارس : ((الواو والزاي والراء أصلان صحيحان أحدهما الملجأ والآخر الثقل في الشيء الأول الوزر الملجأ ، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا

وَزَرَ ﴿٥﴾ ، والوزر حمل الرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع وحمله ولذلك سمي الذنب وزراً ﴿٦﴾ ، من هنا نفهم بأن معنى الوزر في اللغة هو الدلالة على الحمل الثقيل أصالة وقد تدل على الملجأ ايضاً ، إذ ذكر الراغب في مفرداته قائلاً : ((الوزر: الملجأ الذي يُلتجأ اليه من الجبل ، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ﴿٧﴾ والوزر الثقل تشبيهاً بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الاثم كما يعبر عنه بالثقل ، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ ﴿٨﴾) ﴿٩﴾ . فمما تقدم يتضح لنا المعنى الحقيقي للفظه (الوزر) هو الحمل الثقيل وهذا المعنى يتناقض مع ما ذهب اليه المشككين في عصمة النبي {محمد} (ﷺ) ودليلهم على نفي العصمة عن النبي وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ ﴿١٠﴾ ؛ إذ ذهب جماعة من المفسرين ﴿١١﴾ الى القول بأن النبي كانت لديه ذنوب في الجاهلية فقسم منهم عد هذه الذنوب من الصغائر والقسم الاخر عدها من الكبائر ، فقد ذكرها الطبري (٣١٠هـ) بقوله : ((ووضعنا عنك وزرك ، يعني: الشرك الذي كان فيه ، وغفر له ذنبه ، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها)) ﴿١٢﴾ . وجاء في تفسير معالم التنزيل ما نصه : ((وحططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية ، يعني الخطأ والسهو)) ﴿١٣﴾ . وقال النيسابوري في تفسيره لهذه الآية : ((الوزر الذي أنقض ظهره أي أثقله لما صدر عنه من بعض الصغائر قبل النبوة ولما جهله من الاحكام والشرائع)) ﴿١٤﴾ . وما نلاحظه من الاقوال السابقة أن بعضهم يذهب إلى أن النبي محمد (ﷺ) كانت لديه ذنوب ، وهذه الذنوب تنافي أن يكون معصوماً قبل البعثة ، وفي الحقيقة أن الوزر في اللغة يعني الثقل ، وسميت الذنوب اوزاراً ؛ لأنها تثقل حاملها ، وكل غم وهم ومسؤولية هو وزر في اللغة ﴿١٥﴾ . ويؤكد الشيخ الطوسي عدم صحة تلك الاقوال ، إذ يقول : ((لأن الأنبياء (عليهم السلام) لا يفعلون شيئاً من القبائح لا قبل النبوة ولا بعدها ولا صغيرة ولا كبيرة ... فمعنى الآية هو أن الله تعالى لما بعث نبيه وأوحى اليه وانتشر أمره ، وظهر حكمه كان ما كان من كفار

قومه ، وتتبعهم لأصحابه بأذاهم له ، وتعرضهم إياهم ، ما كان يغمه ويسوئه ويضيق صدره ويثقل عليه ، فأزال الله ذلك بأن أعلى كلمته وأظهر دعوته وقهر عدوه^(١٦) .
وذهب الشريف المرتضى في تفسيره للفظه (الوزر) الى الدلالة اللغوية الأصل للفظه ، وهي دلالة الثقل ، إذ يرى بأن الذنوب أوزاراً لأنها تثقل صاحبها ، فيكون على هذا الأساس كل شيء أثقل الانسان وغمه وكده وجهده جاز أن يسمى وزراً ، تشبيهاً بالوزر الذي هو الثقل الحقيقي ، فلا يمتنع أن تكون دلالة الوزر في الآية المباركة إنما أراد بها غم النبي (ﷺ) وهمه بما كان عليه قومه من الشرك وما كان هو واصحابه بينهم من الضعف والقهر^(١٧) .

بهذا نجد أن الوزر الذي وضعه سبحانه وتعالى عن رسوله (عليه الصلاة والسلام) هو إزالة الهم والغم مما كان يتحملة من قومه أو دعوته اليهم للإيمان بالله ونبد عبادة الاصنام ، فحينما بدأ بالدعوة الإسلامية لاقى من المعارضة والمضايقة والقتل والتشريد لبعض أصحابه ، فالهم الذي كان يعتري الرسول نابع من شدة حزنه على قوم الكافرين لأنهم لم يدعوا الى الإسلام ولم تلين قلوبهم لما هداهم اليه ولهذا كان همه كبيراً بداعي شركهم وكفرهم - وليس همه على أصحابه - ودليل ذلك قوله تعالى :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾^(١٨)

وايضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ

شَيْئًا ﴾^(١٩) ، فهمه ذلك كثيراً وغمه الأمر لوجود المعارضة القوية وضعف أصحابه ، فطمأنه الله عزوجل وشرح صدره من بعد هذا الثقل وهذا الوزر الكبير الذي أهمله ، ووضع ما كان عنه من هم وغم بأن يعلي كلمته وينشر دعوته ويهدي قومه ، وما عليه سوى الدعوة ونشر الإسلام والصبر على ذلك وأن النتيجة هي النصر له ولدعوته العظيمة ، وبذلك أزال عنه سبحانه وتعالى ذلك الهم الذي أثقل ظهره ، لأن نقض الظهر هو الثقل والحمل كما جاء في معجمات اللغة .

والذي يقوي ما قلناه الآيات التالية لهذه الآية من السورة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾^(٢٠) وهذه طمأنينة للرسول (ﷺ) وبشارة له بعلو شأنه وانتصار دعوته ، وبقاء ذكره سامياً عالياً في السماء والأرض ، فكيف لا ينشرح بذلك صدره ، ويزول همه وغمه؟ ويؤيده أيضا قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾^(٢١) وهي تحكي حالة النبي (ﷺ) وحالة أصحابه في وقت العسرة وشدة المعارضة وليس أعسر وأصعب مما كانوا عليه في بدء الدعوة ؛ إذ وصل الامر بقومه الى أذيته (ﷺ) بوصفه بالجنون والسحر ، وبعد كل هذا العسر وعده الله باليسر والنصر وسيادة دعوته (ﷺ) وإزالة كل هذه الهموم والغموم عنه (ﷺ) .

ومما يمكن الإشارة اليه هو أن لفظة (الوزر) ليس بالضرورة أن تدل على معنى الذنب ؛ إذ يمكن أن ترد من خلال القرائن السياقية دالة على المعنى المعجمي لها ؛ لأن ((كل شيء أثقل الانسان وغمه وكده وجهده جاز أن يسمى وزراً ، تشبيهاً بالوزر الذي هو الثقل الحقيقي))^(٢٢) ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَقٌّ إِذَا انْخَضُّوا مِنْكُمْ فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾^(٢٣) فـ (أوزار الحرب) في النص القرآني هي ((أثقالها

وأحمالها ، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح فيمسكوا عن الحرب ، وأصل (الوزر ما يُحتمل الانسان فسمى الأسلحة أوزاراً ؛ لأنها تُحمل))^(٢٤) ، وبهذا فأن (ليس يتمتع أن يكون الوزر في الآية إنما أراد به غمه (ﷺ) وهمه بما كان عليه قومه من الشرك))^(٢٥) .

لهذا فقد كان الرسول (ﷺ) ((مُسْتَوْحِشاً من ضلال الناس معاتباً لأعباء هذا الهم المبرح وعسر الحيرة وضيق الصدر منتظراً لفرج الله ولطفه ورحمته الواسعة ، حتى شرح الله صدره ويسر أمره وفتح له باب الهدى والرحمة بالوحي ، ووضع عنه أوزار الهم والعناء بالبعثة والرسالة بالدعوة الى الحق))^(٢٦) .

وما يمكننا أن نستدل به توثيقاً على أن معنى الوزر في النص القرآني يدل على معنى الهم وحمل الثقل ، هي الآية التي قبل آية الوزر وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾^(٢٧) وقوله تعالى بعد آية الوزر ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾^(٢٨) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾^(٢٨) فالذي نلاحظه في النصوص القرآنية أن المقصود بلفظة الوزر هو الهم وحمل الثقل الذي كان يعاني منه الرسول الكريم قبل البعثة بدلالة ((الاستفهام التقريري الوارد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ وهذا الاستفهام يرد كثيراً في القرآن ، ويقدر الفعل بفعل ماضٍ مقروناً بقد ، ففي قوله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ يقدر بأن المعنى قد شرحنا لك صدرك ، وهذا الشرح شرحاً معنوياً ليس شرح حسي ، وشرح الصدر أن يكون متسعاً لحكم الله عزوجل بنوعيه الشرعي والقدري))^(٢٩).

إذن شرح الصدر يعني توسعته وتهيئته لأحكام الله الشرعية والقدرية ، ونبينا محمد (ﷺ) له الحظ الاوفر من ذلك ، فهو أبقى الناس لله ، وأشدهم قياماً بطاعة الله وأكثرهم صبراً على أقدار الله ، لهذا نجد الأنبياء أكثر الناس بلاء .

وما نلاحظه في الآية ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ أن الفعل المضارع (نشرح) منفي والفعل المنفي إذا دخل عليه استفهام كان هذا الاستفهام للتقرير والمقصود به في هذه الآية هو التذكير- أي تذكير الرسول (ﷺ) - بنعم الله عليه وحتى يداوم على شكره تعالى ، فصار المعنى: ((قد شرحنا لك صدرك ، وإنما خص الصدر لأنه محل أحوال النفس من العلوم والادراكات ، والمراد الامتنان عليه (ﷺ) بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قال به من الدعوة))^(٣٠).

واللام في قوله (لك) لام التعليل ، وهي تفيد التكريم لنفس النبي (ﷺ) بأن الله فعل ذلك لأجله ، وفي ذكر الجار والمجرور قبل ذكر المشروح سلوك طريقة الإبهام للتشويق فإنه لما ذكر فعل نشرح علم السامع أنه ثم مشروحاً ، فلما وقع قوله (لك) قوي

الإبهام فازداد التشويق ، لأن (لك) تفيد معنى شيئاً لأجلك فلما وقع بعده قوله (صدرك) تعين المشروح المترقب فتمكن في الذهن كمال التمكن^(٣١) .
وتوسط (لك) بين الفعل والمفعول دلالة على أن الشرح من منافع النبي (ﷺ) ومصالحه ، مسارعة الى إدخال المسرة في قلبه وتشويقاً الى ما يعقبه ، ليتمكن عنده وقت وروده فضل التمكن^(٣٢) .

وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ ((عطف على ما أشير اليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحنا صدرك ووضعنا الح و عنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخير عنه ذلك لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه لما مر آنفاً من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر))^(٣٣) .

يقول محمد الأمين: ((والوضع يكون للحط والتخفيف ، ويكون للحمل الثقيل ، فإن عُدِّي بعن كان للحط ، وإن عُدِّي بعلى كان للحمل ، في قولهم : وضعت عنك ، ووضعت عليك ، والوزر لغة الثقل))^(٣٤) .

ويقول القرطبي: ((وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) ، فهذا عطف على التأويل ، لا على التنزيل ، لأنه لو كان على التنزيل لقال: ونضع عنك وزرك ، فدل هذا على أن المعنى ألم نشرح : قد شرحنا. ولم جحد ، وفي الاستفهام طرف من الجحد ، وإذا وقع الجحد رجع الى التحقيق ، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾^(٣٥) ومعناه : الله أحكم الحاكمين))^(٣٦) .

ولفظه (انقض) في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٣٧) في الاستعمال اللغوي والقرآني تدل على الحل والانتشار، والتمزق تحت ضغط ثقل ومعاناة^(٣٨) ، وذهب المفسرون في تأويلها مذاهب شتى ، ومنهم الطبري ، إذ قال: ((وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) ، أي وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك ، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها ، وحللنا عنك وقرك الذي أثقل ظهرك فأوهنه))^(٣٩) .

وقال أبو حيان هي: ((كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس ،عبر عن ذلك بالخط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك))^(٤٠) ، وعليه فإن ((الكلام على التمثيل ، فإن ما كان يحمله (ﷺ) من ثقل الاهتمام بشأن قومه ، وضيق المذاهب بين يديه قبل تواتر الوحي عليه بالإرشاد ، لم يكن ثقلاً حسيّاً ينقض منه الظهر ، ولكن كان هماً نفسياً يفوق ألمه ألم ذلك الثقل الحسي الممثل به ، فعبر عن الهم الذي تبخع له النفوس بالحمل الذي تقصم له الظهور))^(٤١) ودلالة هذه اللفظة على أن هذا تخفيف أعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها سهل الله تعالى ذلك على نبيه حتى تيسرت له^(٤٢).

ورفع الذكر: جعل ذكره بين الناس بصفات الكمال، وذلك بما نزل من القرآن ثناء عليه وكرامة ، وبإلهام الناس التحدث بما جبله الله عليه من المحامد منذ نشأته ، وعطف(ووضعنا ورفعنا) بصيغة الماضي على الفعل(نشرح) بصيغة المضارع لأن(لم) قلبت زمن الحال الى الماضي فعطف عليه الفعلان بصيغة الماضي لأنهما داخلان في حيز التقرير فلما لم يقترن بهما الحرف (لم) صيرَ بهما الى ما تفيد (لم) من معنى الماضي. فالآية تشير الى أحوال النبي (ﷺ) التي كان في حرج منها أو من شأنه أن يكون في حرج ، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هياً نفسه لعدم النوء بها ، وكان النبي (ﷺ) يعلمها كما أشعر به إجمالها في الاستفهام التقريري المقتضى علم المقرر بما قرر عليه ، ومن عظيم رفع ذكره أنه اسمه (ﷺ) مقترن باسم الله تعالى في كلمة الإسلام وهي كلمة الشهادة .

وجاء في فتح القدير ما نصه: ((ثم ذكر سبحانه عليه وكرامته فقال: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) ، وذلك أن الله لا يذكر في موضع إلا ذكر معه (ﷺ) ورفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا منشد ولا صاحب صلاة إلا ينادي فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وقيل المعنى: ذكرناك في الكتب المنزلة على قبلك ، أمرناهم بالبشارة بك ، ورفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الأرض ، والظاهر أن هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور ، فكل واحد منها أسباب رفع الذكر ، وكذلك امره بالصلاة والسلام عليه ، وإخباره (ﷺ) عن

الله عزوجل أن من صلى عليه واحدة صلى عليه بها عشراً ، وأمر الله بطاعته كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٤٣) ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رِجَالًا مِّنْكُمْ يَكُونُ قَوْلُ الْحَيِّينَ أَتَىٰ أُمَّةً مِّنْهُمْ نَذِيرٌ﴾^(٤٤) وغير ذلك^(٤٥) .

ومما يلاحظ أن لفظة (الذكر) أكثر ما تضاف الى اسمه تعالى ظاهراً كان أو الى ضمير جل شأنه ، وجاء الذكر معرباً بال ، بمعنى الوحي أو القرآن الكريم في بعض السور (٤٦)، وهذا مما يُضفي على كلمة (الذكر) جلالاً ورفعة ، لكثرة ما تقترب بذات الجلالة ، أو تضاف الى ضميره جل شأنه ، أو يقصد بها القرآن والوحي^(٤٧) .

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٤٨) إشارة الى أن الذي منحه ، صلوات الله عليه ، من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر بعد ضيق الامر واستحكام

حلقات الكرب ، ولهذا وصل العبارة بالفاء التي لبيان السبب ، و(ال) في (العسر) للاستغراق ولكنه استغراق بالمعهود عند المخاطبين من افراده أو انواعه ، فهو العسر الذي يعرض من الفقر والضعف وجهل الصديق وقوة العدو، وقلة الوسائل الى المطلوب ، فهذه الأنواع من العسر مهما اشتدت وكانت النفس حريصة على الخروج منها طالبة لكشف شدتها ، وقد كان هذا حال النبي (ﷺ) فإن ضيق الامر عليه كان يحمله على التفكير والنظر حتى آتاه الله ما هو أكبر من ذلك وهو الوحي والنبوة^(٤٩)

،وعليه فإن قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (كاشفاً وموضحاً لدلالة (وزرك) ومثبته بأن المراد من الوزر هو الثقل بالهم .

وهكذا كان تدبير الله سبحانه وتعالى مع النبي الكريم ، بدأ أمره بالعسر والضيق ، ثم كانت عاقبة أمره الى اليسر والسعة، كما يشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾^(٥٠) فالأمور بخواتيمها ، فالآيتان تقرران ما سبق بيانه من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر.

وقد رجحت بنت الشاطئ أن(ال) في العسر للعهد لا للاستغراق ، والمراد والله اعلم ، ما كان الرسول يشعر به من ضيق الصدر وثقل العبي في مواجهة الوثنية العاتية الراسخة ، وأما تنكير يسر ، فلكي ينفس فيه مجال التصور والاطلاق فيحتمل ما قاله المفسرون وما لم يقولوه ، إذ التحديد هنا بكذا أو كيت من مفهوم اليسر، ينافي البيان القرآني الذي أثر اطلاق(يسر) بغير قيد ولا حد^(٥١) .

من هنا نقول إن المقصود في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ هو عناية الله تعالى برسوله (ﷺ) بلطف الله وإزالة الغم والخرج عنه ، وتفسير ما عسر عليه ، وتشريف قدره لينفس عنه ، فالآية تشير الى أحوال كان النبي (ﷺ) في حرج منها ، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هيأ نفسه لعدم النوء بها .

وكان النبي (ﷺ) يعلمها كما أشعر به إجمالها في الاستفهام التقريري المقتضي علم المقرر بما قرر عليه ، فقد كان في حرج من كونه بينهم - أي قومه - ولا يستطيع صرفهم عما هم فيه ولم يكن يترقب طريقاً لأن يهديهم أو لم يصل الى معرفة كنه الحق الذي يجب أن يكون قومه عليه ولم يطمع إلا في خصوبة نفسه يود أن يجد لنفسه قيس نور يضيء له سبيل الحق مما كان باعثاً له على التفكير والخلوة والالتجاء الى الله ، فكان يحنث في غار حراء فلما انتشله الله من تلك الوحلة بما أكرمه به من الوحي كان ذلك شرحاً مما كان يضيق به صدره يومئذ ، فالتجلى له النور ، وأمر بإتقاد قومه فقابلوا إرشاده بالإعراض وملاطفته لهم بالامتعاظ ، حدث في صدره ضيق آخر ، وقد وعده الله بأنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسراً فليتحمل متاعب الرسالة ويرغب الى الله عوناً ، فالسورة كلها مقصورة على بيات كرامة النبي (ﷺ) عند ربه تعالى .

من هنا لا مجال لمن يقول بأن قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ يقصد بها الذنب ، ذلك بأن سياق السورة بكامله لا يحتمل هذا المعنى ؛ بل يناقضه وينافيه ، فالرسول الكريم نزيه كل النزاهة عما نسب اليه ذلك لان قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ هو خطاب الله للرسول (ﷺ) للعناية به ولطف الله به وللتخفيف عنه ، وذلك عن طريق تذكيره بنعمة الله تعالى عليه تلك النعمة التي يتجلى فيها مضمون

مساندة الله تعالى للرسول الكريم ، فقد رفع الله سبحانه وتعالى عنه هم قومه نعمة وكرامة له وسند وقوة له ، فالله سبحانه وتعالى ناصره الان وغداً لا محالة فلا يحزن لان النصر والظفر له مطلقاً .

الخاتمة :

الى الله تعالى أتوجه بأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كل من أراد إن يتزود من بلاغة الأسلوب القرآن ، ولا سيما أن من علوم القرآن معرفة إعجازه ، وقد رجوت وأملت أن يضيف بحثي هذا عملاً جديداً جيداً الى ميدان الدراسات القرآنية ، وها أنا ذا أجمل بإيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة :

- ١- توصل البحث الى أن السياق (مقامياً أو مقالياً) هو من أهم العوامل التي تعين على قراءة النصوص المشكك بها قراءة دقيقة صحيحة .
- ٢- اتضح أن الموسوعة المعجمية بما تشتمل عليه من دلالات متعددة للمفردات اللغوية أسهمت اسهاماً فاعلاً في إفادة القارئ وتزويده بالدلالة المناسبة التي يتطلبها سياق الحديث كما لاحظنا ذلك في لفظة (وزرك) لما تحمله من دلالة على ثقل الحمل وليس فقط الذنب الثقيل وهي دلالة قارة ومعروفة في المعجم العربي .
- ٣- أدى اقتران أداة الاستفهام (الهمزة) بأداة النفي (لم) الى الانحراف بالأسلوب الإنشائي دلاليّاً إلى أسلوب خبري مانحاً السياق سمة التقريرية (الإثبات) لتوجيه الدلالة العامة للسياق بقوة أكبر، ذلك بأن تسييق الحدث بوساطة الإنشاء أقوى دلاليّاً من التعبير الخبري المباشر .

- ٤- توصل البحث الى إن المقصود في قوله تعالى : ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ هو عناية الله تعالى برسوله (ﷺ) بلطف الله وإزالة الغم والخرج عنه ، وتفسير ما عسر عليه ، وتشريف قدره لينفس عنه ، فالآية تشير الى أحوال كان النبي (ﷺ) في حرج منها ، وأن الله كشف عنه ما به من حرج منها أو هياً نفسه لعدم النوء بها .
- ٥- أدى ورود (لم) من دون (ما) الى الانحراف دلاليّاً بزمنية السياق الى الماضي هذا من جهة ، وتحقيق تقرير الحدث على سبيل التجدد والاستمرار بدخولها على

المضارع من جهة أخرى ، وبهذا تكون صفة الشرح صفة دائمة لصدر الرسول (ﷺ) .

هوامش البحث

- (١) سورة الانعام : الآية (١٦٤) .
- (٢) ينظر معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم : ٤٥ .
- (٣) معجم العين : مادة (وزر) ٣٨٠ / ٧ ، وينظر المعجم الوسيط : مادة (وزر) ١٠٢٨ / ٢ .
- (٤) لسان العرب : مادة (وزر) ٢٨٢ / ٥ ، وينظر تاج العروس : مادة (وزر) ٣٥٩ / ١٤ ، ومختار الصحاح : ٢٩٩ / ١ .
- (٥) سورة القيامة : الآية (١١) .
- (٦) مقاييس اللغة : ١٠٨ / ٦ .
- (٧) سورة القيامة : الآية (١١) .
- (٨) سورة النحل : الآية (٢٥) .
- (٩) المفردات في غريب القرآن : ٥٤٤ - ٥٤٥ .
- (١٠) سورة الشرح : الآية (٢) .
- (١١) ينظر جامع البيان : ٤٩٣ / ٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩٧ / ٢٠ ، وتفسير النيسابوري : ٣٥٩ / ٧ ، وفتح القدير : ٢٠ / ٨ ، ومعالم التنزيل : ٤٦٣ / ٨ ، ومفاتيح الغيب : ٢٦٤ / ٦ ، و ٨٩ / ١٧ ، والسراج المنير : ٥٢٣٤ / ١ ، المحرر الوجيز : ١١٢٨ / ١ ، وتأويل مشكل القرآن : ١٧٦ .
- (١٢) جامع البيان : ٤٩٣ / ٢٤ .
- (١٣) معالم التنزيل : ٤٦٣ / ٨ .
- (١٤) تفسير النيسابوري : ٣٥٩ / ٧ .
- (١٥) ينظر تاج العروس : ٣٥٩ / ١٤ ، ومختار الصحاح : ٢٩٩ / ١ .
- (١٦) التبيان : ٣٥٧ / ١٠ ، وينظر مجمع البيان ٤٥ / ١٠ ، وتفسير الميزان ١٧٦ / ٢٠ ، الأمثل : ٢٠ / ٢٩٥ ، والبحر المحيط : ٤٩٦ / ١٠ ، والتفسير البياني للقرآن الكريم : ٦٦ / ١ .
- (١٧) ينظر تنزيه الأنبياء : ١٣٣ ، وحقائق التأويل ٤٦٧ / ٣ .
- (١٨) سورة الكهف : الآية (٦) .
- (١٩) سورة آل عمران : من الآية (١٧٦) .

- (٢٠) سورة الشرح : الآية (٤) .
- (٢١) سورة الشرح : الآية (٥) .
- (٢٢) تنزيه الأنبياء : ١٣٣ .
- (٢٣) سورة محمد : الآية (٢) .
- (٢٤) معالم التنزيل : ٢٧٨ / ١ .
- (٢٥) تنزيه الأنبياء : ١٣٣ .
- (٢٦) الهدى الى دين المصطفى : ١٩٧ / ١ ، وينظر الكاشف : ٨١ / ٧ .
- (٢٧) سورة الشرح : الآية (١) .
- (٢٨) سورة الشرح : الآية (٤-٦) .
- (٢٩) تفسير جزء (عم) : ٢٤١ / ١ ، وينظر البحر المحيط : ٤٩٩ / ١٠ ، وفتح البيان : ٢٨٩ / ١٥ ،
- التفسير الوسيط : ٤٣٦ / ١٥ ، وفتح القدير : ٥٦٢ / ٥ ، وأضواء البيان : ٧٢ / ٨ ، والتحرير
- والتنوير : ٤٠٨ / ٣٠ ، والتفسير القرآني للقرآن : ١٦ / ١٦٠٥ ، واعراب القرآن وبيانه : ١٠ / ٥١٥ .
- (٣٠) فتح القدير : ٥٦٢ / ٥ .
- (٣١) ينظر البحر المديد : ٣٢١ / ٧ ، والتفسير الوسيط : ٤٢٧ / ١٥ ، والتحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٠٩ .
- (٣٢) ينظر البحر المديد : ٣١٢ / ٧ .
- (٣٣) أرشاد العقل السليم : ١٧٢ / ٩ ، وينظر الكشاف : ٧٧٥ / ٤ ، التفسير القرآني للقرآن : ١٦ / ١٦٠٥ ، والبحر المديد : ٣٢٢ / ٧ ، وروح البيان : ٤٦٣ / ١٠ ، واعراب القرآن وبيانه : ١٠ / ٥١٦ ،
- وفتح البيان : ٢٩٠ / ١٥ .
- (٣٤) أضواء البيان : ٥٧٥ / ٨ ، وينظر التفسير الوسيط : ٤٣٧ / ١٥ ، ومحاسن التأويل : ٩ / ٤٩٤ .
- (٣٥) سورة التين : الآية (٨) .
- (٣٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٠٥ / ٢٠ .
- (٣٧) سورة الشرح : الآية (٣) .
- (٣٨) ينظر التفسير البياني : ٦٥ / ١ .
- (٣٩) جامع البيان : ٤٩٣ / ٢٤ .
- (٤٠) البحر المحيط : ٥٠٠ / ١٠ .

- (٤١) تفسير جزء عم : سورة الشرح ، وينظر التفسير البياني : ١٦ / ١ .
(٤٢) ينظر فتح البيان : ٢٩١ / ١٥ .
(٤٣) سورة النور : الآية (٥٤) .
(٤٤) سورة الحشر : الآية (٧) .
(٤٥) فتح القدير : ٥٦٣ - ٥٦٤ .
(٤٦) ينظر سورة الحجر الآيات (٦-٩) وسورة القمر الآية (٢٥) وسورة فصلت الآية (٤١) وسورة النحل الآية (٤٤) وسورة الفرقان الآية (١٨) .
(٤٧) ينظر التفسير البياني : ٦٧ / ١ - ٦٨ .
(٤٨) سورة الشرح : الآيتان (٥-٦) .
(٤٩) ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٥٢٣ / ٦ ، ومحاسن التأويل : ٤٩٦ / ٩ - ٤٩٧ .
(٥٠) سورة الضحى : الآية (٤) .
(٥١) التفسير البياني : ٧١ / ١ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ١- الاصفهاني : ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ): المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: هيثم طعيمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .
 - ٢- البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار احياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
 - ٣- البلاغي : محمد جواد البلاغي (١٣٢٨هـ): الهدى الى دين المصطفى ، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
 - ٤- أبو حيان الاندلسي : محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي (٧٤٥هـ): البحر المحيط ، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد والدكتور احمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

- ٥- الخطيب : عبد الكريم يونس الخطيب (١٣٩٠هـ): التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي - القاهرة ، د.ت ، د.ط .
- ٦- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (٦٠٦هـ): التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ٧- الرازي : محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (٦٦٦هـ): مختار الصحاح ، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ، الطبعة الجديدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٨- الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية ، د.ت .
- ٩- الزمخشري : ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) الكشف عن حقائق التأويل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- ١٠- أبو السعود : محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ) : إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، مطبعة دار احياء التراث العربي - بيروت ، د.ت .
- ١١- الشافعي : شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (٩٧٧هـ) : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة ١٢٨٥هـ .
- ١٢- الشريف الرضي (٤٠٦هـ) : حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، تحقيق : محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، دار الاضواء ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ١٣- الشريف المرتضى : ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي العلوي (٤٣٦هـ) : تنزيه الانبياء : منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعته في النجف ، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ١٤- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .
- ١٥- الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ): اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، د.ط .

- ١٦- الشيرازي : ناصر مكارم الشيرازي : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ .
- ١٧- الطباطبائي : محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ) : الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين - قم المقدسة ، د.ت ، د.ط .
- ١٨- الطبرسي : أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ) : مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ ق - ١٣٣٩هـ ش .
- ١٩- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (٣١٠هـ) : جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: احمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- ٢٠- الطنطاوي : محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .
- ٢١- الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٤٦٠هـ) : التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة قم - مكتبة الاعلام الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ .
- ٢٢- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) : التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار العارف ، د.ط ، د.ت .
- ٢٣- ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) : التحرير والتنوير، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤م ، د.ط .
- ٢٤- العثيمين : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ) تفسير جزء عم ، إعداد وتخرىج: فهد بن ناصر السليمان ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ٢٥- ابن عجيبة : احمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي (١٨٠٨هـ) : البحر المديد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ٢٦- ابن عطية الاندلسي : أبو محمد عبد الحق بن غالب (٥٤١هـ) : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

- ٢٧- ابن فارس : أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي القزويني (٣٩٥هـ) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٨- الفراهيدي: أبو عبد الرحمن خليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ) : معجم العين ، تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة - إيران ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .
- ٢٩- القاسمي : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي (١٣٣٢هـ) : محاسن التأويل ، المحقق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ .
- ٣٠- ابن قتيبة :أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : السيد احمد الصقر، دار احياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، د.ط .
- ٣١- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (٦٧١هـ) : الجامع لإحكام القرآن ، صححه : احمد عبد العليم البردوني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .
- ٣٢- القنوجي : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٣٠٧هـ) : فتح البيان في مقاصد القرآن ،عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٣٣- محمد محمد داوود : معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، دار غريب ، القاهرة - مصر ٢٠٠٨م ، د.ط .
- ٣٤- محي الدين درويش : اعراب القرآن وبيانه ، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ٣٥- مغنية : محمد جواد مغنية (١٤٠٠هـ) : الكاشف ، مطبعة دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م .
- ٣٦- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) : لسان العرب ، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، د.ت .
- ٣٧- النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٨٥٠هـ) : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .